المعرفة العلمية ببجاية بين الرافد المحلي والوافد الخارجي من خلال "عنوان الدراية ".

أ.مسعود بريكة*

مقدمة: ورثت بجاية الحفصية تراثا مهما عن القلعة الحمادية، ولقد أسهم ذلك التراث المتراكم من خلال حراك القلعة العلمي في تبلور الفضاء البجائي علميا خلال القرن 7هـ/13م الذي جسده أبو العباس الغبريني (ت704هـ/1304م) في كتابه الموسوم بـ"عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" الذي ترجم لـ108 من الفقهاء والعلماء في مختلف التخصصات والعلوم والفنون سواءً من البجائيين أو من الأندلسيين أو بلدان أخرى الذين دخلوا المدينة تعلموا وعلموا بها.

من كل ذلك يمكننا أن نسأل عن مدى قدرة النظام التعليمي ببجاية في صناعة النخب العالمة؟ وهل ما يقدمه الغبريني من حراك علمي في المدينة من خلال التراجم التي أوردها في كتابه نجاح محلي أم تأثير لرافد خارجي أم هما معا؟ وهل هو دليل كاف على صحة المنظومة التعليمية في المدينة؟ وإن كان كذلك فما هي العوامل المساهمة في ذلك النشاط؟ وما هي تخصصات تلك النخب في مختلف الفنون؟ وما هي العلوم التي أخذت الاهتمام الأكبر بالدراسة والتأليف ولماذا؟

العرض: لا يمكن لنا الحكم على ذلك الحراك العلمي الذي عرفته بجاية خلال القرن 7هـ/13م من خلال عنوان الدراية دون العودة للبحث في مسبباته والتي لا تحصر في سبب واحد بل هي عوامل كثيرة اجتمعت وأهمها:

1- العوامل المساعدة على الحراك العلمي ببجاية:

أ- الزخم العلمي الموروث عن الفترة الحمادية، فأبو العباس الغبريني لوحده ترجم لستة من أقطاب الفقه والتصوف استقروا ببجاية في القرن 6هـ/12م وهم: أبا مدين شعيب الغوث (ت594ه-1198م)، وأبو علي المسيلي[1] (ق6ه/12م، والفقيه عبد الحق الإشبيلي (ت582ه/1186م) والكاتب أبو الفضل بن محشرة (ت585ه/1189م)، والصوفي أبو عبد الله العربي (ق6ه/12م) والقاضي المتصوف الأديب أبا الطاهر الشريف الحسني (ق6ه/12م)[2]، وكذلك الفقيه ميمون بن جبارة (ت 584هـ)[3]، والذين ترجم لهم لعلمهم وتأثيرهم الاجتماعي واستمرار سند العلم لبعضهم في القرون اللاحقة.

ب- توافد الكثير من الهجرات من مختلف مدن المغرب الأوسط وأخرى خارجية من الأندلس والمغرب الأقصى والأدنى بعد تأسيس بجاية الحمادية سنة 460ه/1068م، لتساهم كل النخب المستقرة ببجاية ذات الأصول المتعددة وبكل أصنافها في بروز بجاية المدينة العلمية خلال القرن 7ه/13م.

*أستاذ مساعد أ في التاريخ الإسلامي الوسيط- قسم التاريخ- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة سطيف 2.

ج- تشجيع السلاطين الحفصيين الأوائل خاصة أبي زكريا والمستنصر لحركة التعليم واستقطاب الفقهاء إلى حواضر السلطنة الحفصية، والمصادر تتحدث عن المؤسسات العلمية والجرايات المغدقة على بعض الفقهاء والمجالس العلمية التي كانت تنظم في حظرتهم.

د- الموقع الهام لبجاية: فهي استراتيجية بموقع بحري هام، ومنطقة عبور نحو المشرق الإسلامي قصد الحج أو الدراسة أو الاستقرار والتجارة أحيانا، فبعض طلبة العلم يحطون الرحال في بجاية أثناء الذهاب والبعض عند العودة ليتحولوا إلى مدرسين أو مفتيين حاملين علم المشرق والمغرب إلى المدينة، وعنوان الدراية غني بنماذج كثيرة عن هؤلاء خاصة الأندلسيين منهم.

هـ- هجرات الأندلسيين: ترجمت بعض المصادر لفقهاء وصوفية أندلسيين استقروا في بجاية خلال القرن 6هـ/12م، وذكر الغبريني منهم: عبد الحق الإشبيلي (ت582هـ-1186م) الذي رحل إلى بجاية وتخيرها وطنا[4]، أخذ عنه الكثير من الأندلسيين ببجاية أثناء مرورهم بها نحو المشرق أو أثناء عودتهم أو من الذين اتخذوها مقامهم. استقرت تلك النخب بمختلف تخصصاتها (فقهاء، أدباء، شعراء، صوفية) ببجاية حاملة معها تراثها ومعارفها دون رجعة، أحدثوا الإضافة لمخزونها السابق.

و- وجود المؤسسات التعليمية بالمدينة ودواويرها وهي:

الكتاتيب: في سن الخامسة عموما ينتمي الصبي البجائي إلى الكُتاب، هذه الكتاتيب التي كانت تنتشر في جبال بجاية وأكوارها كجرجرا وبني غبرين ومشدالة وبني حسن، عادت بالفضل على بجاية بإمدادها بطلبة العلم الحافظين للقرآن، المجيدين لأحكامه وتلاوته، وهي عادة المغاربة على رأي ابن خلدون[5]، ويذكر الغبريني أنه قرأ بكُتّاب منطقة بني يتورغ وهو حديث السن على الشيخ أبو الحسن علي بن محمد الزواوي[6].

المساجد: كان الطالب بعد إنهائه مرحلة الدراسة بالكتاتيب يلتحق بالمساجد أو الزوايا، فكان سن الثالثة عشرة بداية لهاته المرحلة من التعليم عموما، يلتحق فيها بأي حلقة من حلقات العلم التي كانت تعقد في مساجد بجاية لهذا الشأن، وله الحرية في الانتساب لأي منها واختيار الشيخ المناسب[7]، وفي مقدمتهم مسجد القصبة والمسجد الأعظم، وهما اللذان استقطبا الفقهاء الكبار للتدريس والإقبال عليهما لارتباطهما بالسلطة، كان والي بجاية يختار لمسجد القصبة أفضل الفقهاء، ويأتي الغبريني في برنامجه على المشيخة التي لقنت المعرفة فيهما، ويصف الحلقات التي عقدت هناك بتعاليق تعبر عن مدى استقطاب المشيخة لطلبة العلم "له مجلس واسع الحضور في مختلف الفنون والعلوم"[8]، ويوشح فقيها آخر بقوله: "كان له مجلس للتدريس بالجامع الأعظم يدرس الرواية والدراية"[9]، وهناك مساجد أخرى كمسجد الإمام المهدي ومسجد النطاعين ومسجد عين الجزيري ومسجد المرجاني[10]...

الزوايا: الزوايا بدورها كانت ملاذا لطلبة العلم في هذه المرحلة من تعليمهم، فمنذ العهد الموحدي ببجاية اتخذها بعض الصوفية دورا للتعليم، فأبو زكريا يحيي الزواوي كان يلقي دروسه على طلبته ومريديه في التفسير والأصول والفقه بجامعه وزاويته الملتصقة به[11].

المنازل والبيوت: اتخذ بعض الفقهاء المدرسين من بيوتهم دورا للإقراء، فقد كان محمد بن صمغان القلعي (ق7هـ/13م) يسمع طلبته "بعلو سقيفة داره"[12]، ويختارهم من حذاق الطلبة ونجبائهم، وهي ظاهرة تميزت بها بجاية، حيث خصصت حلقات في المساجد والزوايا ومنازل الفقهاء للطلبة المتميزين عن أقرانهم حذقا وتفوقا، فكانت دروس محمد بن الحسن التميمي (ت673هـ/1284م)[13].

2- الأصول الجغرافية لنخب عنوان الدراية: للإجابة على الإشكاليات المطروحة اتبعت المنهج الإحصائي محاولة لمعرفة الأصول الجغرافية لهؤلاء؛ فتبيّن لي بعد البحث في 108 من الشخصيات التي ترجم لها الغبريني التوزيع التالي:

البلد الأصل	بجاية وأكوارها	المغرب الأوسط	الأندلس	المغرب الأقصى	تونس	طرابلس	الموصل	أصبهان	لم أتعرف عليه
العدد	37	14	36	06	03	01	02	01	08

جدول بيين الأصول الجغرافية لفقهاء عنوان الدراية

بجاية ودواوريها الرافد المحلي (المرتبة الأولى): احتلت بجاية والدواوير والكُور المحيطة بها من الفقهاء المترجم لهم في عنوان الدراية المرتبة الأولى بـــ37 شخصية متفوقة على العنصر الأندلسي بفارق شخصية واحدة، وقد ميزت بالذين سماهم الغبريني من بجاية أو البجائي بـــ20 شخصية أما الكُور فقد مدّت المدينة بـــ17 شخصية، ولهذا الرقم دلالات كثيرة يمكن استنتاجها بعد التعرف على تلك الكُور في الجدول التالي:

الكُوَر	القلعة	زواوة	بني غبرين	مشدالة	بني وغليس
العدد	08	05	02	01	01

الجدول: تعداد النخب القادمة من البوادي

كانت بوادي وجبال بجاية خزانا لا ينبض أمد المدينة بنخب علمية أو بطلاب علم ذاع صيتهم بعد أن صقلت بجاية وغيرها من المراكز العلمية مواهبهم سبعة عشر شخصية، كان لها دور في تفعيل الحركة العلمية بالمدينة يقر ابن خلدون بهذه الظاهرة، فبفقدان المدينة لمكانتها وتراجع عمرانها تلجأ إلى البوادي والأطراف لحفظ وجودها وضمان استمرارها الحضاري حيث يقول: "إن يكون لضواحي تلك المدينة وما قاربها من الجبال والبسائط بادية يمدها العمران دائما"[14]، تأتي القلعة أولا رغم البعد الجغرافي إلا أن الارتباط السياسي والتاريخي جعلني لا أضعها مع رافد حواضر المغرب الأوسط بـــ8 شخصيات مؤثرة

ترجم لها الغبريني كأبي عبد الله بن صمغان (ق7ه/13م) الذي ولد بالقلعة ثم رحل إلى بجاية وتعلم بها، وتولى نيابة قضاء الأنكحة بها، ويبدو أنه عاش نهاية العهد الموحدي وبداية الحفصي لقراءة أحد أحفاد بني عبد المؤمن عليه[15]، وكذلك الشأن بالنسبة لأبي العباس المعافري (ق7ه/13م) على قول الغبريني: "وارتحل إلى بجاية ولقي بها أفاضل"[16]، في حين ولد البعض الأخر بها ممن كانت هجرة أسرهم قبل القرن السابع الهجري كأبي محمد بن عمر القلعي (ت669ه/ 1270م) الذي تعلم بها ثم اشتغل بالتدريس فيها[17].

مدن المغرب الأوسط (عدد معتبر): كان القرب الجغرافي عاملا ساهم في انتقال طلاب العلم ليتم الانتقال بعدها إلى الحواضر الأكثر اجتذابا في عالم وسيط كان الارتحال في طلب العلم وملاقاة الشيوخ أساسا ينشده كل من يريد التفوق خاصة على يد البجائيين الذين علا كعبهم وزانت الأفاق شهرتهم، وقد أحصيت 14 شخصية استقرت ببجاية قادمة من العديد من مدن المغرب الأوسط موزعة كالأتي:

المدينة	الجزائر	مليانة	وهران	سطيف	أريس	بونة	قسنطينة	دلس	المسيلة
العدد	05	02	01	01	01	01	01	01	01

الجدول: نخب حواضر المغرب الأوسط

3- حقول المعرفة العلمية لفقهاء بجاية: من 108 شخصية ترجم لها الغبريني في عنوان الدراية وجدت أن كل علوم الرواية والدراية تواجدت ببجاية من خلال قراءة تراجمهم، جمع بعضهم بين مختلف الفنون كعبد الحق بن الربيع (ت675هـ) الذي قال عنه: إنه "كان يحمل فنونا من العلم: الفقه والأصلان وأصول الدين وأصول الفقه والمنطق والتصوف"[18]، ومنهم من تخصص في علم من العلوم وأبدع فيه كالفقيه محمد بن أبي بكر القلعي[19]. خلصت إلى ترتيب حسب تخصصاتهم أفضى إلى الجدول الآتي:

الفقه	علوم اللغة	الحديث	أصول الدين	الشعر والنثر	أصول الفقه	التفسير	التصوف	القراءات	الطب	التاريخ والتراجم	المنطق
44	25	14	10	08	09	02	06	06	02	10	06

الجدول: تخصصات النخب العلمية البجائية.

تفوق الفقه: من خلال الجدول والشكل البياني السابق فإن الفقه يأتي أولا بـــــــ44 مرة، جله مالكيا فهو مذهب أهل المغرب والأندلس بسبب ارتحالهم إلى المدينة وأخذهم عن إمام دار الهجرة وتلاميذه من بعده[20]، وتشجيع السلطة الحفصية لتدريس الفقه المالكي في الحواضر وحتى القرى والبوادي[21] خصوصا في المساجد في ظل تراجع العقيدة التومرتية والتخلي التدريجي عن الموروث الموحدي؛ فعاد أهل بجاية لدراسة وتدريس المذهب بشغف كبير، ولم يكفهم ذلك بل توسعوا وتخصصوا فيه؛ فكانت الرحلة إلى المشرق لملاقاة شيوخه والاطلاع على مؤلفاته ظاهرة ميزت طلبة العلم، فبرزت المدرسة الفقهية البجائية، وألفوا في هذا العلم تآليف؛ فكتب الفقيه أبي طاهر عمارة بن يحيي في علم الفرائض، واهتم الأندلسيون

بعلم المواريث لحاجة الناس إليه تدريسا وتأليفا في حياتهم الإجتماعية؛ فّألف أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي التجيبي (ت637هـ) كتاب "الوافي"، قال عنه الغبريني: إنه ما رأى مثله في ذلك الفن "لأنه أعطى الفرائض موصلة مفصلة معللة بأخصر بيان وأوضح تبيان"[22]، وكتب ناصر الدين المشدالي (ت731هـ) شرحا على رسالة أبي زيد القيرواني[23].

علوم اللغة: كان نصيبها 25 مختصا، ونرجع هذه المكانة لارتباط العلوم الشرعية ومقاصد الشريعة بمعرفة صاحبها باللغة العربية وقواعدها، ونفس الملاحظة السابقة تشير إليها المصادر التي ترجمت لأهل اللغة من البجائيين، حيث تخصصوا في أكثر من علم إضافة إلى اللغة، حيث برزوا في الفقه والأصول، وتألقت منهم فئة من النحاة واللغويين تدريسا وتأليفا ومناظرة، وعلى سبيل المثال لا الحصر ابن معطي الزواوي (ت628ه/1230م) الذي قرأ النحو بدمشق ومصر، وألف الألفية المسماة باسمه في النحو (ألفية ابن معطي)[24]، ومحمد بن الحسن بن ميمون القلعي (ت673ه-1274م) الذي انتقل من القلعة واستوطن بجاية، وصفه الغبريني بأنه أحد علماء اللغة البارعين في بلاد المغرب كلها جمع بين النحو والأدب واللغة[25]، ومن الأندلسيين أبو الحسن علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور (ت669ه/1299م)، رحل من إشبيلية وسكن بجاية، عرف بتفرده في النحو واللغة، له كتب هي من أجل الموضوعات والتآليف، ولفضله ضمّه السلطان المستنصر الحفصي إلى مجلسه[26].

الحديث: 14 متخصصا، ومن المشهور أن بلاد المغرب لم تعرف شيوع علم الحديث مما أنجر عنه رحلة المغاربة إلى المشرق لأخذه عن المحدثين[27]، والقراءة التي استنتجتها هي أن غالبية أهل الحديث في بجاية كانوا من الأندلسيين، وربما يعود ذلك لعلو شأن المدرسة الأندلسية في الحديث بوجود المشيخة والتركيز على تدريسه، علما أن ثلة منهم قرأوا بها ثم رحلوا إلى بلاد الشام ومصر لإكمال السماع على شيوخ هذا العلم، ويأتي على رأس هؤلاء أبو الخطاب عمر بن دحية (ت633ه/1235م)، من الحفاظ والثقاة وكبار المحدثين، والذي أسمع دروس الحديث لطلبة بجاية عند مروره بها نحو المشرق[28]، أما المحدثين فلم نعثر إلا على واحد وهو أبو بكر محمد بن سيد الناس (ت659ه/1260م) المحدث والحافظ لأكثر من عشرة آلاف حديث بمتونها وسندها وعارفا بأسماء الرواة وتواريخهم، أقرأ ببجاية وولي الخطابة بالجامع الأعظم، ولمكانته العلمية ضمّه المستنصر الحفصي إلى مجلسه[29]، أما من البجائيين الذين اهتموا بعلم الحديث فنذكر علي بن أبي نصر البجائي (ت652ه/1254م)، قرأ بالأندلس ثم رحل إلى المشرق واستقر ببجاية للتدريس، له علو سند في الحديث على صحيح البخاري[30]، وعيسى بن مسعود الزواوي (ت743ه/1342م)، قرأ صحاح الحديث الستة على شيوخ الأزهر، وشرح صحيح مسلم في اثني عشر مجلدا[31].

أصول الدين (العقيدة وعلم الكلام): أساسه الجدل العقلي ومناقشة الحجة بالحجة، 10 شخصيات وهي مكانة معتبرة لهذا العلم في بجاية خلال القرن 7هـ/13م مقارنة بالفترة الحمادية التي لم يكن فيها إلا ثمانية متخصصين فيه[32]، وربما يعود ذلك لارتباط العقيدة بالفقه وأصوله؛ فنجد الكثير من هؤلاء جمع بين شتى العلوم الشرعية كعبد الوهاب بن يوسف بن عبد القادر (ت686هـ/1287م) الذي كان له علم بالفقه وأصول الدين والحكمة وبراعة في علم المنطق[33] للحجاج والبرهنة بالأدلة العقلية عن العقيدة الإسلامية مع أهل الكتاب أو من المبتدعة[34]، لتصبح بجاية قبلة لدراسة العلوم العقلية بفضل مجموعة من المناطقة البجائيين الذين جمع بعضهم أكثر من خمس تخصصات كأبي عبد الله محمد بن علي القصري (ق7ه/13م) من أهل الفقه وأصول الدين والفقه، وله تقدّم في علم التصوف والبراعة في العربية[35]، وأبو العباس أحمد بن عثمان المتوسي (ت644ه/1246م) الذي درس بالمشرق ثم استقر ببجاية، له علم بالفقه وأصول الدين والعربية والتصوف[36]، وربما مما زاد في هذه المكانة مساهمة الأندلسيين بشكل مميز في هذا العلم، وعلى رأسهم أبو الحسن علي بن ابراهيم الحرالي (638ه/1240م) الذي مكث ببجاية مدة، قال عنه الغبريني: إنه أعلم الناس بأصول الدين وله تآليف في ذلك[37]، كما أن العقيدة الأشعرية تابعت انتشارها امتدادا للفترة الحمادية ثم الموحدية التي كان ابن تومرت أحد المساهمين في إدخالها إلى بلاد المغرب.

الشعر والنثر: ثلاثة شخصيات، البعض منهم كانوا فقهاء نظموا شعرا في الزهد والتذكير بالآخرة كالفقيه عبد المنعم بن محمد الغساني (ت670ه/1271م) الذي ولي القضاء ببجاية لفترة طويلة، ومن شعره يرهب من اليوم الآخر:

ويوم يفر المرء من ولد له حبيب ولا يجـزى أب بـأبـوتـه

ترى الناس فيه بين باك وصارخ وذاكر ما قد فات من فرط زلته[38]

وكذلك شأن الفقيه ابن الغماز (ت693هـ/1293م) الذي تولى القضاء والخطابة بجامعها الأعظم، والذي نظم في ذكر الموت قائلا:

هـو الموت فاحذر أن يجيئك بغتـة وأنت على سوء من الفعل عاكف[39].

وجمع إبراهيم بن ميمون الزواوي (ت686هـ/1287م) بين الشعر والنثر، وقد أعجب الغبريني بهما وقال: إن نظمه حسن وكلامه في النثر مستحسن[40]. أخذ شعر الزهد النصيب الأكبر ببجاية مع الشعراء المتصوفة الذين دعوا من خلاله إلى تطهير الأنفس من الأدران والمعاصي، ومنهم المتصوف الأندلسي المولد أبو الحسن النميري الششتري (ت668ه/1269م) الذي عاش ببجاية لفترة، وقد أثنى صاحب عنوان الدراية على نثره وشعره الهزلي والزجلي ومما قاله:

يا قلب اصرف عنك وهم النقا وخلّ عن سرب حمى حاجرِ[41].

نستنتج أن النثر والشعر في بجاية قد تعددت أغراضه بحسب الظروف من سياسي إلى شعر التصوف والزهد والغزل وغيره.

أصول الفقه[42]: كان نصيبها 9 شخصيات بفضل مجموعة من البجائيين والأندلسيين الذين علا كعبهم في الأصول، ومن أبرز شيوخه في القرن 7ه/13م عبد الرحيم بن عمر اليزناسني، درس ببجاية الفقه وأصوله على طريقة الفخر الرازي وأبو حامد الغزالي[43]، له علم بأصول الفقه إلى أن وصل درجة الإجتهاد[44]، ومعاصره عبد الحق بن الربيع الأنصاري (ت675ه/1276م) البجائي المولد والدراسة الذي تخصص في الكثير من العلوم ومنها أصول الفقه.

علوم القرآن والتفسير: تتكرر 6 مرات فقط، وهو شأن المغرب الأوسط ككل الذي طغت عليه الدراسات الفقهية في جل فتراته التاريخية، من هؤلاء الثلاثة عشر أحمد بن محمد الصدفي (ت674ه/1275م) الذي كان له معرفة متبحرة بالقراءات، وعرف بضبط الرواية، قال عنه الغبريني: "ما رأيت أتقن منه في القراءات"[45].

التصوف: 6 مرات وهو عدد معتبر، نرجح أن المرجعية الصوفية البجائية للقرن 6ه/12م التي مثلها القطب أبي مدين شعيب (ت594ه/1197م) وعبد الحق الإشبيلي (ت582ه/1186م) وأبي زكريا الزواوي (611ه/1214م) سببا في بروز مدرسة صوفية بجائية انطلاقا من القرن 7ه/13م، تخرج منها الأخيار والصلحاء سواءا كان تصوفا سنيا[46] كيحيى بن زكريا القرشي (ت677ه/1278م)، الذي رحل إلى المشرق ولقي الشيوخ، وأخذ عنهم علم الظاهر والباطن؛ فتقدم في العلمين، سكن بجاية وتوفي بها[47]، ومن المغرب وصل أبو شعيب الهكسوري (ت664ه/1265م) بجاية واستقر بها، عرف بزهده، جمع بين التصوف والفقه والأصول[48]، وبرز في هذا الاتجاه مجموعة من المتصوفة ببجاية نزعوا إلى مجاهدة النفس اقتداء بالسلف بإكثارهم من التعبد والتقشف في المأكل والمشرب والزهد في الدنيا وزخرفها، فصل فيهم أحد الدارسين بشكل مستفيض[49]. ومن أقطاب التصوف الفلسفي ببجاية الذي يترع منتحليه إلى الكشف لإدراك الحقائق الإلهية عبد الحق بن سبعين (ت669ه/1270م)، رحل إلى بجاية وسكنها، قرأ عليه الكثير ممن ترجم لهم الغبريني في برنامجه[50]، نشر مذهبه وطريقته في التصوف[51].

التاريخ والتراجم: 10 من الذين اهتموا به ببجاية حسب الغبريني، منهم حماد بن بكر الصنهاجي (ت628ه/1230م)، قرأ ببجاية ودخل الأندلس، كتب "النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة" وهو مفقود، و"أخبار بني عبيد وسيرهم" وهو متداول[52].

الطب: لم يكن أكثر حظا فأحصيت متخصصين فقط.

من هذه القراءة نخلص إلى أن المنظومة الفكرية البجائية في تلك الفترة غلبت عليها الدراسات الفقهية خصوصا والعلوم الشرعية عموما، وكانت أكثر اهتماما من العلوم الإنسانية التي تفاوت المتخصصون فيها من علم لآخر.

4- تصنيفاتهم في حقول المعرفة من خلال عنوان الدراية:

عنوان التأليف	الفن	المؤلف	أصله	الصفحة
كتاب في التهجد	الفقه	عبد الحق الإشبيلي	الأندلس	74
الوافي	الفقه	أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي	الأندلس	145
تقييد على كتاب التلقين	الفقه	أحمد بن عثمان المتوسي	مليانة	171
شرح على رسالة أبي زيد القيرواني	الفقه	ناصر الدين المشدالي	مشدالة	201
نظم في الفرائض	الفقه	أبو محمد عبد الله بن علوان	بجاية	262
الحاوي (17جزءا)	اللغة	عبد الحق الإشبيلي	الاندلس	74
الموضح في علم النحو	اللغة	علي بن ميمون القلعي	بجاية	95
حدق العيون في تنقيح القانون	اللغة	نفسه	بجاية	95
نشر الخفي في مشكلات أبي علي	اللغة	نفسه	بجاية	95
شرح مقصورة ابن دريد	اللغة	إبن حماد الصنهاجي	بجاية	194
المقرب	اللغة	ابن عصفور	الأندلس	267
شرح مقامات الحريري	اللغة	ابن عميرة المخزومي	الأندلس	271
شرح الفصيح لثعلب	اللغة	أحمد بن يوسف الليلي	الأندلس	300
تصنيف في رجال الحديث	الحديث	أبو الخطاب بن دحية	الاندلس	230
الأحكام الكبرى والصغرى	الحديث	عبد الحق الإشبيلي	الأندلس	74
التفكير فيما تشتمل عليه الآيات من المبادئ والغايات	أصول الدين	حسن بن علي بن محمد المسيلي	المسيلة	67
شرح أسماء الله الحسنى	أصول الدين	أبو زكريا بن محجوبة السطيفي	سطيف	120
نظم في التصوف	التصوف	إبراهيم بن أحمد بن الخطيب	بجاية	201
اللجين في مراثي الحسين	التصوف	إبن الأبار	الأندلس	261
إختصار حلية الأولياء	التراجم	عبيد الله بن الفتوح	الأندلس	176
مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل	علوم القرآن	أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي	الاندلس	145
تفسير للقرآن	التفسير	نفسه	الأندلس	148
النبذ المحتاجة في تاريخ صنهاجة	التاريخ	ابن حماد الصنهاجي	بجاية	194
أرجوزة في الأدوية	الطب	أحمد بن محمد الأموي	الأندلس	102

التعليق على الجدول: أغلب من صنف في مختلف العلوم هو العنصر الأندلسي الوافد، وهو ما يؤكد تفوقهم على العنصر المحلي في إنتاج المعرفة، بسبب طبيعة تكوينهم وتعودهم على التأليف، ويروي الغبريني قصة تفيد هذا المعنى في ترجمته للفقيه أحمد بن محمد القرشي أنه لما دخل بجاية والتقى بشيوخها سألهم عن ما ألفوه فأجابوه بالسلب إلا أبو عبد الله التميمي(53)، كما أن الكثير من فقهاء بجاية لم يرغبوا في التأليف لاعتقادهم في كفاية المؤلفات الموجودة رغم قدرتهم على ذلك(54).

– غلبة الفقه واللغة على مختلف الفنون في عدد المؤلفات، ولعل ذلك يرجع لحاجة الناس لفقه العبادات والمعاملات اليومية، وتخصصهم في هذا العلم من الفترة الحمادية إن في القلعة أو بجاية وتوارث التخصص في الفقه، فكان العنصر البجائي سيالا عبّر عن قدرته في التصنيف وتصدير المعرفة للفضاء الخارجي.

– ضعف التأليف في التاريخ والتراجم، ولعل الاهتمام بالعلوم الشرعية واعتقاد الأجر في تلك العلوم، وعدم تدريس التاريخ كفن قائم بذاته والترغيب فيه في ظل نقص مصادره كان السبب في ذلك الضعف.

– ندرة المؤلفات في الطب والحساب والعلوم التجريبية المختلفة، لضعف الاهتمام وقلة الأساتذة المدرسين لهذه العلوم التي تفوق فيها المشارقة.

خاتمة: من خلال دراسة عنوان الدراية توصلت إلى مجموعة من النتائج أهمها:

* قدرة بجاية على إنشاء مجموعة من المؤسسات التعليمية لتكوين النخبة العالمة.

* تلاقح التراث العلمي للقلعة ثم بجاية الحمادية مع التجربة الأندلسية في نشأة مدرسة بجاية في إنتاج العلوم والمعارف.

* أثبت العنصر الأندلسي الوافد قدرته على إنتاج المعرفة في علم الحديث وأصول الدين خصوصا، وزاد في تكوين العنصر المحلي الذي بزغت تآليفه في علمي الفقه واللغة. وعزوفه عن التأليف في العلوم الأخرى إعتقادا في أنه ما ترك الأولين للآخرين شيئا، وبنظري السبب يعود لعدم وجود ثقافة التأليف في المجتمع البجائي واعتماده على طريقة السماع والإلقاء.

* يعبر الغبريني فعلا عن الوضعية العلمية والثقافية ببجاية خلال القرن 7هـ/13م، ويصوّر حالة المدينة في هذا الجانب مقارنة بحواضر المغرب آنذاك، وقدرتها على منافسة تونس عاصمة الحفصيين، ورأينا ذلك من خلال استقطاب السلطة المركزية للنخب البجائية نحو عاصمة السلطنة الحفصية للاستفادة من خبراتها العلمية والإدارية، والنماذج التي يقدمها الغبريني كثيرة في هذا الشأن.

الهوامش:

(1) هو أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي، كان يلقب بأبا حامد الصغير له علم بالمنطق، عاش في بجاية ولما دخلها بنو غانية أكرهوه على بيعتهم، ولي القضاء مكرها، أنظره عند الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971، ص66-72.--- (2) الغبريني: المصدر السابق، ص76-80.--- (3) المصدر نفسه، ص183.

(4) المصدر نفسه، ص73، ويذكر إبن الزبير أن خروجه من الأندلس كان بنية الحج فلم يقدر فاستقر ببجاية، أنظر :صلة الصلة، تحقيق، ليفي بروفنسال، المطبعة الإقتصادية، الرباط، (دت)، القسم الأخير. القسم الأخير، ص5.

(5) المقدمة، ص494، وأنظر كذلك: محمد عادل عبد العزيز: التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978، ص11.--- (6) الغبريني: المصدر السابق، ص 134.

(7) وهي ميزة عرفت بها المساجد خلال الفترة الحفصية، فالطالب بالجامع الأعظم بالزيتونة كانت له الحرية في الانتماء لأي شيخ أو حلقة يريد، أنظر في ذلك: محمد الباجي بن مامي: « التعليم بجامع الزيتونة وبمدارس العلم في العهد الحفصي »، مجلة التاريخ العربي، العدد17، ص253، ويراجع في هذا الشأن كذلك عادل عبد العزيز: التربية الإسلامية في المغرب، ص27.---(8) الغبريني: المصدر السابق، ص103.---(9) المصدر نفسه، 180.

(10) وهو المسجد الذي كان أبو زكريا المرجاني يلقي فيه دروسه على طلبته والكائن بحومة اللؤلؤة، أنظر عنه : المصدر نفسه، ص 165.

(11) المصدر نفسه، ص137، بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/ 12 و13 الميلاديين، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص107.---(12) الغبريني: المصدر السابق، ص189.

(13) أصله من قلعة بني حماد قرأببجاية على شيوخها، له باع في اللغة العربية وعلومها من مؤلفاته "الموضح في علم النحو" وله كذلك "حدق العيون في تنقيح القانون" و"نشر الخفي في مشكلات أبي علي"، أنظر ترجمته عند : المصدر نفسه، 94-99.

(14) المصدر نفسه، ص 319.---(15) المصدر نفسه، ص189.---(16) المصدر نفسه، ص265.---(17) المصدر نفسه، ص93.

(18) المصدر نفسه، ص86.---(19) المصدر نفسه، ص 227.---(20) إبن خلدون: المقدمة، ص415.

(21) إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9 هـ/ 15م، ط 1،: دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1421هـ/ 2000، ج2، ص204.---(22) عنوان الدراية، ص 148.---(23) المصدر نفسه، ص 201.

(24) أنظره في: السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2، دار الفكر، بيروت، 1399هـ/1979، ج2، ص344، وكذلك: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة،ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/ 1997، ص255.

(25) الغبريني: المصدر السابق، ص94.---(26) نفسه، ص266-267.---(27) عمارة علاوة: مكانة الفكر العقدي في بجاية الحمادية، ص226.

(28) الغبريني: المصدر السابق، ص228.---(29) المصدر نفسه، ص247، ابن مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،: دار الفكر، بيروت، (دت)، ص194.---(30) الغبريني، المصدر السابق، ص142. ---(31) ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون الجنان، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417- 1996، ص 283.---(32) عمارة علاوة: مكانة الفكر العقدي في إنتاج العلوم والمعارف، ص228.----(33) الغبريني: عنوان الدراية، ص204.---(34) ابن خلدون: المقدمة، ص423.---(35) الغبريني: المصدر السابق، ص170.

(36) المصدر نفسه، ص171.---(37) المصدر نفسه، ص146.---(38) المصدر نفسه، ص125،123.---(39) المصدر نفسه، ص129، 131.---(40) المصدر نفسه، ص182.---(41) الغبريني: المصدر نفسه، ص210-211.---(42) أصول الفقه هي النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتآليف من القرآن والسنة النبوية، أنظر التعريف في: ابن خلدون: المقدمة، ص418.

(43) ابراهيم حركات: المدخل إلى تاريخ العلوم، ج2، ص332.---(44) الغبريني: المصدر السابق، ص223، ووقع تصحيفا عنده باليزناتي.

(45) المصدر نفسه، ص108.---(46) التصوف السني هو الالتزام بالقرآن والسنة النبوية وأخلاق السلف الصالح والإبتعاد عن الخوض في القضايا الفلسفية، الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص103. ---(47) الغبريني: المصدر السابق، ص119. ---(48) المصدر نفسه، ص173-174.

(49) بونابي: المرجع السابق، ص 109-112.---(50) عنوان الدراية، ص209.----(51) ابن الخطيب: الإحاطة، ج4، ص32، وللتفصيل يراجع: التنبكتي: كفاية المحتاج، ص205، القرافي: توشيح الديباج وحلية الإبتهاج، تحقيق علي عمر، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،، هـ/1425هـ/2004، ص137.---(52) الغبريني: المصدر السابق، ص 192- 194.----(53) المصدر نفسه، ص 302.---(54) المصدر نفسه، ص 92.

Abstract:

Bejaia Hafsia inherited an important heritage from the Hammadian castle. That accumulated heritage has contributed in the arrival of the city to the peak of prosperity through the mobility of scientific castle after the flow of the elites in 7AH/13th century. Abu L'abas Alghubrini wrote a book about that in 704AH/1304AD, under the title 'unwan eddiraya fimen 'urifa fi lmia sabia' bi bijaya", The book was translated to 108 scholars and scientists in various specializations, sciences and arts. They were Bejaians and Andalusians who entered the city and have studied or taught there. The educational institutions also contributed in the formation of students in the religious sciences. The former were represented in Katatib and Zawaya and the homes of scholars. In his book, Alghibrini shows the contributions of Andalusians and the native Bejaians in the production of knowledge in various disciplines like El Fiqh, Hadith and Qoran. In addition to all that, the ability of Bejaia in the competition of scientific towns and cities during that period by the transfer of knowledge outside Bejaian space.